

فريق التفريغ بموقع الطريق إلى الله

يقدم

من سلسلة "قصة رواها الرسول"

الثلاثة الذين تكلموا في المهد ١

لفضيلة الشيخ: جمال المراكبي

رابط المادة: <http://www.way2allah.com/khotab-item-29059.htm>



الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وليّ الصالحين، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله الصادق الوعد الأمين، صلوات ربي وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه، ومن سار على طريقته وانتهج نهجه إلى يوم الدين، وعلى رسل الله أجمعين..

اللهم أنت الملك، لا إله إلا أنت، أنت ربي وأنا عبدك، ظلمت نفسي، واعترفت بذنبي.. فاغفر لي ذنوبي جميعاً، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، واهدني لأحسن الأخلاق، لا يهدي لأحسنها إلا أنت.. واصرف عني سيئها، لا يصرف عني سيئها إلا أنت، لبيك وسعديك، الخير كله في يدك، والشر ليس إليك، وأنا بك وإليك، تباركت ربنا وتعاليت.

النبي صلى الله عليه وسلم يروي لنا أعجوبة من أعاجيب الزمان، هل تتصورون طفلاً يتكلم في مهده! ينطق في زمن رضاعه! نحن نعلم أن الطفل يبدأ في تعلم الكلمات البسيطة، ثم يبدأ في تعلم الجمل، ثم بعد ذلك يحفظ بعض التراكيب وبعض العبارات ويرددها، ثم يبدأ يتفاعل مع لغة من حوله، فينطق ويتكلم.. أي طفل يحتاج إلى زمن وإلى وقت وإلى مراحل حتى يتكلم.

**كيف تكلم المسيح في مهده؟**

لكن هل تعلمون طفلاً يتكلم بعبارات فصيحة وهو لا يزال بعد في مهده! لا شك أنكم تعرفون المسيح عيسى ابن مريم، لما ولدته أمه وحملته.. "فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا \* يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَعْثًا \* فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا" مريم ٢٧: ٢٩

ده لسه مولود، لسه وليد، مازال وليداً حديث العهد بالولادة.. " ... كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا \* قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا \* وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا \* وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا" مريم ٢٩: ٣٢

هكذا قص علينا القرآن الكريم كيف تكلم المسيح عيسى ابن مريم في مهده، وكيف برّ أمه، الذين اتهموها بالفاحشة كأنما ألقيوا صخرة أو حجراً فسدت أفواههم، فلم ينطقوا مع هذه الآية، مع هذا الإعجاز..

**حديث الثلاثة الذين تكلموا في المهد**

ولكن هل نتصور أن غير المسيح تكلم في المهد! إي والله تكلم جماعة من الأطفال في المهد، تعالوا ننظر الى هذا الحديث الذي رواه لنا البخاري ومسلم وغيرهما من أصحاب السنن والمسانيد..

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة: عيسى، وكان في بني إسرائيل رجل يقال له جريج، كان يصلي، جاءته أمه فدعته، فقال: أجيبها أو أصلي، فقالت: اللهم لا تمته حتى تربه وجوه المومسات، وكان جريج في صومعته، فتعرضت له امرأة وكلمته فأبى، فأتت راعياً فأمكنته من نفسها، فولدت غلاماً، فقالت: من جريج، فأتوه فكسروا صومعته وأنزلوه وسبوه، فتوضأ وصلى ثم أتى الغلام، فقال: من أبوك يا غلام؟ قال: الراعي، قالوا: نبي صومعتك من ذهب؟ قال: لا، إلا من طين..

وكانت امرأة ترضع ابناً لها من بني إسرائيل، فمر بها رجل راكب ذو شارة، فقالت: اللهم اجعل ابني مثله، فترك ثديها وأقبل على الراكب، فقال: اللهم لا تجعلني مثله، ثم أقبل على ثديها يمصه - قال أبو هريرة: كأني أنظر إلى النبي صلى الله عليه وسلم يمص إصبه - ثم مر بأمّة، فقالت: اللهم لا تجعل ابني مثل هذه، فترك ثديها، فقال: اللهم اجعلني مثلها، فقالت: لم ذلك؟ فقال: الراكب جبار من الجبابرة، وهذه الأمّة يقولون: سرقت، زنت، ولم تفعل" صحيح البخاري.

هذا الحديث رواه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، بعد أن ذكر قصة قصص الأنبياء ذكر هذا في الذين كانوا في بني إسرائيل بعد نبي الله عيسى، وكانت فيهم الرهبانية التي ابتدعوها، ما كتبها الله عليهم، وإنما ابتدعوها من عند أنفسهم، وألزموا بها أنفسهم، ومع هذا وما رعوها حق رعايتها.

**الذين تكلموا في المهد ثلاثة**

النبي صلى الله عليه وسلم يقول، لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة، والناظر في النصوص والأحاديث يجد أنهم أكثر من ثلاثة، فإما أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم قال ذلك قبل أن يُطْلَعَهُ رَبُّهُ عَلَىٰ مَن تَكَلَّمُوا فِي الْمَهْدِ عَلَىٰ سَبِيلِ الْمَعْجَزَةِ أَوْ عَلَىٰ سَبِيلِ الْكِرَامَةِ، وإما أن الحصر والعدد لا يُرَاد..

نحن نعلم أن شاهد يوسف على الراجح من أقوال أهل العلم كان صبياً صغيراً، ونعلم أيضاً أن الصبي الذي كانت تحمله أمه في قصة الأخدود في قصة أصحاب الأخدود كان صبياً صغيراً رضيعاً.

وقد تكلم العلماء في الذين تكلموا في المهد، فذكروا أن بعض أنبياء الله ورسله كإبراهيم ومحمد وعيسى تكلموا في المهد، ولكن هذا لم يثبت بالأسانيد الصحيحة، وإنما الثابت في شأن عيسى أنه تكلم في مهده، وكذلك في هذا

الحديث ذكر لنا النبي صلى الله عليه وسلم مُبْرَى جريج، وذكر لنا الغلام أو الطفل الصغير الذي كانت تحمله أمه فكادت تتعرض للفتنة فعصمها الله من الفتنة بكلام وليدها في مهده.

### قصة جريج العابد

أما عيسى فشأنه معروف مشهور، وقد قصَّ الله علينا ذلك في كتابه.. وأما مُبْرَى جريج، فجريج هذا كان رجلاً عابداً، كان جريج رجلاً عابداً، يقال أنه كان تاجرًا في أول أمره، فكان يربح وكان يخسر، فقال مرة لنفسه: هذه تجارة لا أستفيد منها، أريد تجارة لا تخسر أبدًا.

فبدأ يفكر في التجارة التي لا يمكن أن تخسر أبدًا، فإذا هي التجارة مع الله، التجارة مع الله بالطاعة بالعمل الصالح، فاعتزل الناس وبنى لنفسه صومعة، وصار دير في صومعة، وصار يعبد ربه فيها يصلي ويصوم ويتهجّد. وكانت أمه تأتيه بين الفينة والأخرى، بين الحين والآخر فتنادي عليه، فيُطِلُّ عليها من أعلى الصومعة، فتراه وتكلمه فتقر عينها بذلك.

وقدر الله عز وجل أن تأتيه أمه وهو يصلي، فنادت: يا جريج، يا جريج، ورفعت يدها فوق عينيها كأنها تنظر إلى الأعلى، وكان جريج يصلي، فجعل يقول في نفسه: يا رب أمي وصلاتي، يعني أُجيب أمي أم أستمر في صلاتي؟! فاستمر في صلاته، حتى يئست الأم فعادت أدراجها.

ثم جاءته بعد فترة تطمئن عليه، فإذا هو يصلي، فنادت: يا جريج انظر إليّ، فقال: يا رب أمي وصلاتي، فقدّم صلاته، ولم يرد على أمه.

فلما جاءته في المرة الثالثة، ونادت عليه: يا جريج أنظر إليّ، فقال: يا رب أمي وصلاتي، فلم ينظر إليها، فدعت عليه في ساعة من ساعات الغضب..

### أيتها الأمهات الفضليات

إذا غضبت من ابنك فعليك أن تدعي الله له بالهداية.. اللهم اهديه، اللهم وفقه، اللهم يسر له الخير.. لكن إذا دعوتني عليه بشر قد تكون أبواب السماء مفتوحة، وهي دعوة أم، دعوة أم في لحظة غضب على وليدها الذي لها عليه من الحق ما الله به عليم.

الأم دعت قالت: اللهم لا تمته حتى تربيه وجوه المومسات، كأنها دعت أن يتعرض للفتنة، ولكنها لم تدع الله عليه أن يُفْتَنَ، أو أن يقع في الفتنة، لكن يتعرض للفتنة.. مش انت بعدت عن الفتن، وحبست نفسك في الصومعة، أنا أدعو الله عليك أن يُعَرِّضَكَ للفتن.

واشتهر أمر جريج في بني إسرائيل.. مَنْ أعبد الناس! مَنْ مثل جريج في العبودية وعبادة الله! فقالت امرأة بغي من بني إسرائيل: أنا أغويه لكم، أنا أعرضه للفتنة، هو رجل كسائر الرجال لو تعرضت له بالفتنة والجمال لوقع في هاوية الفاحشة.

### استجابة الله لدعاء أم جريج

فجاءت المرأة تتعرض له، ولكن الرجل كان في عبادة، كان في خشوع، كان منشغلاً بعبادته لربه فلم يلتفت لهذه المرأة، فلما يئست المرأة، نامت مع راعي من رعاة الغنم، أمكنته من نفسها فحملت وولدت، ثم ادعت كذباً وزوراً أن هذا الولد هو ولد جريج.

فقام الناس بدون روية بدون تفكير، يقولون: جريج يفعل هذا؟! ثم ذهبوا إلى صومعته فجعلوا يكسرونها بالفؤوس، وتصوروا جريج سمع جلبة، سمع أصوات شديدة، الفؤوس تعمل في الصومعة من أسفل، فخاف أن ينهار المبنى به، فتدلى بحبل فنزل، فقبضوا عليه، وقد هدموا صومعته أمام عينه، ثم قبضوا عليه وقالوا له: يا فاجر، يا فاسق، تدعي أنك عابد، وهو ساكت لا يتكلم..

وهذه قصة طويلة تحتاج منا إلى أن نتعرض لبعض ما فيها من المعاني في لقاء قادم إن شاء الله، أسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يوفقنا وإياكم لما يحب ويرضى.

وصلِّ اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

تم بحمد الله

شاهدوا الدرس للنشر على النت في قسم تفرغ الدروس تفضلوا هنا:

<http://forums.way2allah.com/forumdisplay.php?f=36>